كلمة الأب روني شاموسي ، رئيس جامعة القديس يوسف
بمناسبة اللقاء حول 'إسلاندا ولبنان : ثغور أوروبا'
30 أيلول - 2 تشرين الأول 2005

قورنت يوماً فلسطين وايرلندا . هنا وهناك تُهدر الدماء في حروب الإحتلال والتحرير في علاقات مشحونة بجوّ السموم .

ما نُدْعى اليه اليوم هو مقارنةٌ أكثر جرأةً بين اسلاندا ولبنان ، وهما كيانان صغيران على مشارف أوروبا العظمى . وهي مقارنة فعلاً جريئة ، فماذا يجمع ما بين بيورك وفيروز ، وبين الفيكنغ والفينيقيين ، وبين تلك الأرض البركانية الضائعة في المحيط الجليدي وأحد ثغور الأبيض المتوسط جاثماً به لبنان بين البحر والبادية ؟

بل هي مقارنة أساسية في فترة أساسية تضع فيها أوروبا سياسة الجوار الرسمية التي اعتنقتها، وترى نفسها مضطّرة على كيفية تفعيلها للإلتزامات المتخذة تجاه هذين البلدين النائيين – هي وإدارتا المعقّدة – وكل منهما يحمل ثروات ليست دائماً واضحة للعموم .

ستتحدثون في اليومين المقبلين عن القانون ، والإقتصاد ، والعلاقات الدولية ، وعموماً عن الجيوستراتيجيا . أودّ فقط إثارةَ شيءٍ من الأبستمولوجيا أو سوسيولوجيا العلوم ، لا أدري أياً من العبارتين أدقّ .

فهيكل اللقاء كلّه مبني على عمل مقارن بين الكيانين قبل العودة الى أوروبا لدعوتا الى التعامل معهما كما هي قادرة عليه في سياسة الجوار .

من المهم في أيامنا هذه إدراكنا أن إقامة المقارنة لم تعد تعني أن هنالك وحدات ناقصة بالنسبة لوحدات أخرى . في عصر ما يسمّى 'التاريخ القريب' ، كان الإستعمار يقدم جواباً لمثل تلك الأسئلة ، وكان 'المستعمرون' يقولون 'للمتخلّفين' ، 'نحن نعلمكم على العيش الرغيد ، على الديمقراطية الخ' . وجميع السبل ، بل أسوأها إطلاقاً ، كانت جيّدة . هذا العصر ولّى ، بل لا بدّ أن يكون قد ولّى .

المهم اليوم أن ندخل من دون تردّد في 'تفاوض عالمي ذكي بين الثقافات' . ومن الممكن التعويل على المقارنات ، لكن العمل المقارن لن يكون إيجابياً إلا إذا قبلنا أن نقول في الآن ذاته أننا 'لا نشترك بعد في عالم واحد' وأن 'هذا ما هو أساسي بالنسبة الى كلّ منا' . هذا ما وصفه بـ'أنتروبولوجيا الموازاة' عالمُ اجتماع معاصر . وعملاً على هذا الأساس يتاح لنا أن نرى كيف يمكن السير قُدُماً معاً وكيف نقول لأوروبا : 'هذا ما نأتي به ، هذه هي ميزاتنا' . وفي الوقت ذاته يمكننا أن نسأل الأوروبي : 'نظراً لهذا الواقع ، ماذا تقدّمون؟'

وهكذا نكون أنفسنا ، لبنانيين ، واسلانديين ، ونعمل معاً بشكل مختلف مع تلك الأوروبا الأيضاً مختلفة .

يبقى لي أن أتمنى لكم لقاءً ناجحاً . ليت الفنانتين المذكورتين آنفاً – بيورك وفيروز ، وهما تنهلان من ثقافة كلّ من شعبيهما ، تذكرانكم بأن الحقائق التي تعملون با ليست معطيات علمية صرفة ترتكزون عليها ، بل هي دائماً محاطة بذاك التصوّر الخلاّق الذي يلين بِهِ كلّ حوار .